فعلم الله الذي لا يتغير ولا يتدرج ولا ينتقص ولا ينتقض، ظاهر في آياته، باهر في بيناته، والركب السريع الهريع من العقل والعلم شاهد صدق على أنه علم الله و﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾.

أجل، وليس القرآن بحاجة لإثبات ربانية صدوره إلى شاهد سواه، كما الله لا يحتاج إلى ما سواه، فإنه نور وتبيان وشاهد وبرهان لا يوازيه أو يساميه أي برهان شهادة لربانيته، ولا بياناً لما يحويه من حاجات المكلفين منذ بزوغه إلى يوم الدين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1] ولن تجدوا في هذا القرآن اختلافاً كثيراً ولا يسيراً!.

إذاً ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[2] حيث يشهد بعلمه في كتابه على وحيه وعلى توحيده: ﴿وَأَنْ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لله بكامل حججه وبيناته في كتابه؟.

ذلك، ولماذا يتحدى القرآن بمثلث ﴿بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾[3] و﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ و«بسورة مثله - أو - من مثله»؟

هذا ليحلِّق التحدي على مثلثه، فلا يقال قد لا يؤتى بسورة واحدة مثل سورة واحدة منه ولكن يؤتى بسور قد تماثل القرآن بعضاً مّا، أم يؤتى بقرآن يماثله شطراً مّا.

فلكي تسد كافة الثغور على بلدة القرآن يؤتى بمثلث التحدي وأقله سورة مّا وإن مثل سورة الكوثر، وأوسطه عشر سور بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة، وأكثره كل القرآن.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

ذلك، وليحلّق التحدي على كافة المواضيع القرآنية - العلمية - إضافة إلى أدبه البارع القمة، وهنا الله تعالى مصرح بإعجازه العلمي ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ مهما شمل الجانب اللفظي الأدبي فإنه القشر في إعجازه وسائره هو اللب.

والتحديات الثلاث لا تعني الكمية المتحدى بها، بل هو الكيفية والنوعية وإن في آية واحدة، حيث الأسلوب القرآني هو منقطع النظير بين كافة الأساليب لمن سوى الله، مهما كان من عباقرة العلم والتفكير، فالمماثلة في مثلّثها يعنى منها جانب الكيفية لفظياً ومعنوياً، دون الكمية إذ لا خارقة فيها.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ مسلمون كما يصفه القرآن ورسول القرآن: مسلمون للرسالة القرآنية، وهنا يصفه شاهد منه قائلاً: «ثم إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خير خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذلّ الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءه بكرامته، وخذل محادّيه بنصره، وهدم أركان الضلالة بركنه، وسقى من عطش بحياضه، وأناق الحياض بمواتحه - ثم جعله لا انفصام لعروته، ولا فك لحلقته، ولا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لشجرته، ولا انقلاع لمدته، ولا عفاء لشرائعه، ولا جذّ لفروعه، ولا ضنك لطرقه، ولا وعوثة لسهولته، ولا سواد لوضحه، ولا عوج لإنتصابه، ولا عضل في عوده، ولا وعث لفجّه، ولا انقطاع لمصابيحه، ولا مرارة لحلاوته - فهو دعائم أساخ في الحق أسناخها، وثبّت لها أساسها، وينابيع غزرت عيونها، ومصابيح شبت نيرانها، ومنار اقتدى بها سفّارها، وأعلام قصد بها فجاجها، ومناهل روي بها ورّادها، جعل الله فيه منتهى رضوانه، وذروة دعائمه، وسنام طاعته، فهو عند الله وثيق الأركان، ورفيع البنيان، ومنير

البرهان، مضيء النيران، عزيز السلطان، مشرف المنار، فشرّفوه واتبعوه، وأدوا إليه حقه، وضعوه مواضعه»[(١)].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾:

آية وحيدة بصيغة التعبير لتقرير مسير أنحس الكافرين ومصيرهم إلى جهنم وبئس المصير: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ طول حياته منذ أعماق ماضية حتى مضيّه عن الحياة، لحد ركنت إرادة الحياة الدنيا وزينتها وركزت في أركان حياته، دونما إرادة معها الحياة الآخرة، فلا أعمال له ولا أحوال ولا أقوال إلّا ما يتبنى الحياة الدنيا وزينتها، إذا فـ ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ توفيه لها إليهم فيها كما يصح ونرضى، لحد لا ظلم عليه فيها لأعماله لـها: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[(٢)] و﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[(٣)] وإنما نصيبهم في الدنيا بما عملوا لها ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ عما يحق لهم بسعيهم على وعيهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾:

فهم أولاء الذين لم يعملوا إلّا للحياة الدنيا وزينتها، هم في ثالوث منحوس من جرّاء أعمالهم وأثقالهم: فـ ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ﴾ قراراً

(١) (من الخطبة ١٨٩).
(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٨-٢٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

فيها دون فرار ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ إذ لم يصنعوا فيها لدار القرار ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في دار الفرار، إذ لم يعملوها لدار القرار، فـ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[(١)].

وتراهم كانت لهم صالحات حتى تحبط وتبطل؟ كلّا، وإنّما هي الصالحات التي يعملونها للحياة الدنيا وزينتها دون الآخرة وذلك شرط ألا يؤمن بالآخرة، فإن إرادة الحياة الدنيا وزينتها قد تكون بعمل الدنيا وأخرى بعمل الآخرة، فيا ويلاه أن تعمل عمل الآخرة للدنيا فإنه نفاق وهو أنحس من الكفر وأضل سبيلاً.

وهنا ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ قد تكون مستقلة مستغلة بعمل الدنيا أو الآخرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾، أم مشتركة بينهما أن يعمل لهما، أم هو خارج عن الإخلاص في أعماله للأخرى فأدنى عذاباً إذ لا يسوّى بمن هو ملحد في أعماله ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾[(٢)] [(٣)] والمعني من حديث الرسول ﷺ أن العمل

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.

(٣) الدر المنثور ٣: ٣٢٣ - أخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن يقول الله تعالى له: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فيقول: بلى، فيقول فماذا عملت فيما علمتك فيقول يا رب كنت أقوم به الليل والنهار فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارى فقد قيل. اذهب ليس لك اليوم عندنا شيء ثم يدعى صاحب المال فيقول عبدي: ألم أنعم عليك ألم أوسع عليك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فماذا عملت فيما آتيتك؟
فيقول: يا رب كنت أصل الأرحام وأتصدق وأفعل فيقول الله له: كذبت بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذلك اذهب فليس لك اليوم عندنا شيء، ويدعى المقتول فيقول الله له: عبدي فيم قتلت؟ فيقول: يا رب فيك وفي سبيلك فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة: كذبت بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذلك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شيء ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك شر خلق الله يسعر بهم النار يوم القيامة. =

الذي ليس إلّا للحياة الدنيا وزينتها هو حابط باطل في الأخرى وليس يعني أن بعض الأعمال الطالحة يحبط سائر الأعمال الصالحة[١] وإنما لكلّ عمل أجره قدر قدره للآخرة، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٢] فإن كان سعيه للدنيا فله ما سعى فيها، وإن كان للآخرة فله سعيه فيها وعند الله مزيد.

فمحور القصد في الآية هم الكفار الذين لا يعملون إلّا للحياة الدنيا، لمكان ﴿مَن كَانَ﴾ الدالة على الاستمرار في كل الأعمال، و«ليس لهم إلا النار» وعلى هوامشهم المسلمون الذين قد يعملون أعمالاً صالحة يقصدون بها الحياة الدنيا.

ذلك، ولأن سنة الله جارية على الجزاء بالأعمال صالحة وطالحة هنا وفي الأخرى، فلا تعجبك الأموال الوفيرة والقدرات والإمكانيات الكثيرة للذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها.

فلأن أكثر الجزاء للمؤمن هو في الآخرة، وكل جزاءً الكافر في الدنيا، لذلك نرى زهر الحياة الدنيا لأهليها أكثر من أهل الآخرة، وهنا نعرف المعني مما يروى أن «الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر».

ذلك «وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود والأعمى لها متزود»[٣].

= وفي نور الثقلين ٢: ٣٤٤ عن تفسير القمي في الآية قال: من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدنيا أعطاه الله ثوابه في الدنيا وكان له في الآخرة النار، وعن المجمع في الحديث أن النبي ﷺ قال: بشر أمتي بالسناء والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب» أقول: يعني من هذا العمل، وأما العمل الذي يعمله لآلخرة فله فيها منه نصيب.

(١) المصدر.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٣) (الخطبة ١٣٣).

فالحياة الدنيا هي لأهلها المبصرين إليها معمية، وللمتذرعين بها إلى الحياة الأخرى المبصرين بها مبصرة، فالدنيا في حد ذاتها ليست بمذمومة ولا ممدوحة، وإنما هي مدرسة ينجح فيها جماعة ويسقط آخرون، ف : «أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المنخدع بأباطيلها، أتغتر بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرتك؟ أبمصارع آباءك من البلى، أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك؟ وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغني عنهم دواءك، ولا يجدي عليهم بكاءك، لم ينفع أحدهم إشفاقك، ولم تسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوتك، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك، بمصرعه مصرعك - إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظةً لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله - اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذّمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوقتهم بسرورها إلى السرور؟ راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة، ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً، فذمها رجال غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة، ذكّرتهم الدنيا فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا»[١].

ذلك، ومما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في همّ الدنيا : «من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه»[٢] حيث يعني : «من جعل الدنيا همه، وقرّ عليها باله، وأعرض عن الآخرة بوجهه، وأخرج ذكرها من قلبه، وأقبل على تثمير الأموال، واستضحام الأحوال، عاقبة الله على ذلك بأن يزيده فقر

(١) نهج البلاغة الحكمة ١٢٧ قالها عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا : أيها الذام . . .
(٢) المصدر .

نفس، وضرع خد، فلا تسد مفاقره كثرة ما جمع وعدد، وعظيم ما أثل وثمر، فكأنه يرى الفقر بين عينيه، فهو أبداً خائف من الوقوع فيه، والانتهاء إليه، فلا يزال آكلاً لا يشبع، وشارباً لا ينفع، فمعه حرص الفقراء، وله مال الأغنياء»[١].

أجل «وهذه الخطوط إلى جنبها الأعراض تنهشها»[٢] فهي أعراض الدنيا التي تعرض فيها من المصائب، وتطرق من النوائب، تشبيهاً لها بالحيات الناهشة، والذؤبان الناهسة، لأخذها من لحم الإنسان ودمه، وتأثيرها في نفسه وجسمه.

أجل، أولئك الأنكاد، الأعمون البعاد: «آثروا عاجلاً، وأخروا آجلاً، وتركوا صافياً، وشربوا آجناً، كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه، وبسيء به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت به خلائقه، ثم أقبل مزيداً كالتيار لا يبالي ما غرّق، أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرّق - أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى؟ - أين القلوب التي وهبت وعوقدت على طاعة الله - ازدحموا على الحطام، وتشاحوا على الحرام، ورفع لهم علم الجنة والنار فعرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا إلى النار بأعمالهم، ودعاهم ربهم فنفروا وولّوا، ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا»[٣].

(١) المجازات النبوية للسيد الشريف الرضي (٧٥).
(٢) المصدر ٧٧ عن النبي ﷺ.
(٣) (الخطبة ١٤٤).

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هنا هو الرسول ﷺ فإنه هو الذي حشر بينات وشهوداً في مثلث الزمان، دون أهل الكتاب، فإن البينة الأولى لهم

هو كتاب موسى، وليس هو من قبله، بل هو معه، ثم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ جمعاً لا تناسب «من كان» المفرد، ثم لا مرجع لضمير الغائب في «به» لا هنا ولا التي قبلها.

إذاً فهو النبي ﷺ حشيراً وعشيراً لبينات وشهادات تدل على محتده الرسالي السامي.

و«كان» تضرب إلى أعماق الماضي، ١ - قبل ولادة ببينات البشارات الواردة بحقه في كتابات الوحي، ٢ - وبأصل ولادة حيث ظهرت عنده عجائب قاصده، ٣ - وطيلة الأربعين قبل رسالته وهي الحالة التحضيرية لرسالته، بارقة مشرقة خارقة للعادات إذ لم ير في حياته تلك نقطة سوداء، مما يبرهن - وهو في جو الإشراك وكافة الرذالات - على بالغ حاله واستقباله.

٤ - ومنذ ابتعاثه إذ كان يحمل من بينات الرسالة الربانية كافة اللمحات والدلالات، فحين نرى رسل المسيح يستدلون بأنفسهم على رسالاتهم أمام الناكرين: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾[1] فهذا النبي أحرى أن يكون بنفسه برهاناً ساطعاً على رسالته.

وبقرآنه وهو رأس الزاوية من ﴿بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ منقطعة النظير عن كل بشير ونذير، آيات بينات خمس تلو بعضها البعض، أو مع بعضها البعض، تحشره بنفسها.

ثم ﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ من الله، أو من نفسه، أم من الله ثم منه بإذن الله، فتراه نفسه؟[2] وهو لا يتلو نفسه مهما كان شاهداً من ربه على رسالته بنفسه، وشاهداً بنفسه بما اجتهد وسعى ووفقه الله!.

(١) سورة يس، الآية: ١٦.

(٢) المصدر عن الحسين بن علي عليه السلام في الآية قال: محمد هو الشاهد من الله، ومثله ما عن أبي العالية وإبراهيم.

أم هو جبريل عليه السلام [١]؟ وكيف يتلوه وهو معه نازلاً بتفصيل الكتاب على قلبه!، وليس هو شاهداً منه صلى الله عليه وآله ولا شاهداً من ربه له، إذ تكفيه شهادة الوحي من ربه، وأنه هو الذي عرفه جبريل وسيطاً لوحيه، دون أن يشهد على شيء!.

ولا هو شاهد من ربه للآخرين إذ لم يروه، فلا دور له في حقل الرسالة ولا الوحي شهادة، إنما هو وسيط في تفصيل الوحي، لا لحاجة منه إليه، بل ليعرف الناس أنه صلى الله عليه وآله ليس إلهاً يقول من نفسه، تثبيتاً لإيمانهم أنه بشر رسول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾ [٢].

أم هو لسانه الصدق [٣] القرآن العظيم، بينة له في زمنه، ثم يتلوه على مدار الزمن حتى القيامة الكبرى، شاهد من ربه على رسالته الأخيرة، وهذا هو الحق، فإن الله يشهد بالقرآن على وحيه وعلى رسالة من جاء به على طول الخط.

ثم ويتلوه شاهد من الله كأصل، وهو شاهد منه صلى الله عليه وآله بما أذن الله، وهو الإمام علي عليه السلام كما تواترت به الروايات [٤].

---

(١) المصدر عن ابن عباس انه جبرئيل ووافقه سعيد بن جبير وعطاء وابن عباس.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٣) الدر المنثور ٣: ٣٢٤ عن محمد بن علي بن أبي طالب قال قلت لأبي أن الناس يزعمون في قول الله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هُود: ١٧] أنك أنت التالي؟ قال: وددت أني أنا هو ولكنه لسان محمد صلى الله عليه وآله.

(٤) المصدر أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هُود: ١٧] رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه، وأخرجه عنه عليه السلام ابن عساكر، وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هُود: ١٧] قال: علي.
أقول وفي ملحقات إحقاق الحق (٣: ٣٥٢ - ٣٥٨): أورد هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله كثير من الحفاظ منهم الثعلبي في تفسيره، والبغوي في تفسيره معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن=